مطبوعات المجمع العلمي العراقي

العلاقة بين اللغة والمجتمع

الدكتور

صالح مهدي شريدة



مستل من المجلد الخامس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م


م. سرمد حاتم شكر

العلاقة بين اللغة والمجتمع

الدكتور
صالح مهدي شريدة

ان اللغة والمجتمع مرتبطان ببعضهما ترابطاً وثيقاً ، وان كلاً منهما يؤثر في الآخر وحياة كل منهما متعلقة بحياة الآخر ونستطيع ان نبحث العلاقة بينهما فيما يلي :ــ

اولا : اللغة وسيلة للتعبير عن الافكار والاحاسيس والمشاعر ونقلها من شخص لآخر فمن الواضح ان كل افراد المجتمع الذين يشتركون باستعمال لغة واحدة ، تكون تلك اللغة هي الوسيلة للتعبير عن الخواطر والاحاسيس بين افراد ذلك المجتمع .

وهناك سؤالان جديران بالمناقشة فيما يتصل بعلاقة التفكير باللغة :ــ

اولهما : هل يمكننا ان نفكر بدون لغة ؟

وثانيهما : هل يحتوي كل كلام على تفكير؟

فأولا : يختلف علماء النفس فيما يتعلق بالاجابةعن السؤال الاول ، فالتقليديون او الكلاسيكيون منهم يعتقدون بأن اللغة هي الفكر ذاته ، وهي الوسيلة الوحيدة للتفكير ودعامته الاساسية . فبموجب رأي هؤلاء اننا لانستطيع ان نفكر بدون وجود الكلام لانه المصدر الكلي للتفكير ، فمثلا يقول مايكل ويست : ان اللغة ليست الوسيلة الوحيدة للتعبير وحسب ، فنحن لانفكر اولا ومن ثم نعبر عما فكرنا به ، ان

اللغة هي اداة التفكير انها اكثر من ذلك ، انها اداة الشعور كذلك (١) وبموجب رأى هذا المفكر التقليدي : ان فقدان اللغة يؤدي الى فقدان التفكير ايضاً (٢) .

ويؤيد هذا الرأي العالم النفساني هنري هيد اذ يقول : عندما يفقد الرجل قوة الموازنة العقلية ، ولا يستطيع الكلام او الكتابة ، وعندما تنعدم كل الاعضاء الداخلية والخارجية للكلام ، فمن الواضح انه سيكون مختلا في تفكيره » (٣) .

اما علماء النفس المحدثون فلا يتفقون مع علماء النفس السابقين اذ ان الرأي السائد عندهم هو ان اللغة وسيلة لانعكاس التفكير واداة له ، وأن وجود التفكير لايعتمد اعتماداً كلياً على وجود اللغة ، والدليل على ذلك ان « الانسان يستطيع ان يفكر عن طريق الصور الذهنية وحدها ، بدون وجود الكلمات ، ويستطيع ان يفكر بواسطة المخططات الصورية ونماذج الاشياء ، وبواسطة الاشارات كما في حالة استعمال الحروف الهجائية الخرساء الصماء ، ويستطيع ان يفكر في حالات نادرة عن طريق الحركات العضلية » (٤) .

والدليل الاخر على اسناد هذا الرأي هو ان الاشخاص الخرسى والصم لهم قدرة على التفكير مع العلم انهم ليسوا قادرين على الكلام وهذا واضح ، لأننا نستطيع التفاهم معهم الى حد ما بواسطة اخراج بعض الاصوات او الكلمات عن طريق الشفاه، وبواسطة بعض الحركات اليدوية او الاشارات الاخرى بواسطة الرأس والملامح .

فبموجب اعتقاد علماء النفس المحدثين نرى ان التفكير لايعتمد اعتماداً كلياً على وجود اللغة ، بل هو وسيلة لابرازه واظهاره . وهذا لايعني ضعف العلاقة بين

---

(1) Michael west: Language in Education, p. 2
(2) I bid, p, 9
(3) Henry Head, Aphasia and Kindred Disorders of Speech 162.
(4) Simeon potter:- Language in the Mondern World, p. 162

التفكير واللغة ، بل انما العلاقة بينهما متينة وكما يقال : « ان التفكير كلام صامت وان الكلام تفكير صائت » فاللغة تظهر التفكير بوضوح ، كما انها توسع نطاقه وتؤدي الى حثه وقوته . فان التفكير بواسطة الصور الذهنية والمخططات التصورية والاشارات والحركات العضلية التي اشرنا اليها هي محدودة الاستعمال ولا تؤدي الى التعبير عن اغراض كثيرة في الحياة اليومية فهي تضيق نشاط التفكير ولا توسع نطاقه او تحثه كثيراً .

وكذا الامر بالنسبة لتفكير الاشخاص الخرسى فان طريقة تفكيرهم محدودة وكذلك طريقة تفاهمنا معهم فهي ضيقة وضعيفة فاننا لانستطيع التفاهم مع هؤلاء في كثير من الاشياء التي تتمكن اللغة من التعبير عنها ويذكر الدكتور انيس فريحة ماقاله عالم الماني مختص في علم الحيوان في محاضرة له بجامعة لندن عندما كان يبرهن انه يمكن ان يكون هناك فكر مجرد بدون كلمات ، ومع هذا فان معظم التفكير يجري بواسطة اللغة ، وان للغة الاثر الكبير في تحفيزه اذ يقول هذا العالم ، « ان اكثر التفكير في الانسان يتم عن طريق الكلام ، لأن في الكلمات صوراً ذهنية وعندما تذكر هذه الكلمات تتمثل الصور في عقولنا » (١) .

اذن للغة اثر كبير في التفكير فهي اساسه وسبيله الرئيسي الى الظهور ومحفزا له

ثانياً : هل يحتوي كل كلام على التفكير ؟

انا سنجيب على هذا السؤال في الفقرة الثانية من هذا الفصل (٢) .

ثانيـــاً :

ان اللغة تجعل بأمكانية الافراد العيش في مجتمع انساني معين . اذ تعتبر اللغـــة فعالية اصيلة تتغلغل في حياة الافراد الكلية . وهناك ارتباط كبير وتفاعل مشترك بين اللغة والمجتمع . وتعتبر اللغة واسطة فعالة لتحقيق الاتصال بين افراد المجتمع

---

(١) الدكتور انيس فريحة : " نحو عربية ميسرة " ، ص ١٣٦ .

(٢) انظر ص ٣١١ – ٣١٣

وان المجتمع الانساني سواء داخل البيت ام خارجه ، يعتمد على الارتباط الفعال المستمر . وان الحرمان من هذا الارتباط يؤدي الى درس حياة المجتمع » (١) .

وكما يقول الفيلسوف الاغريقي ارسطو « ان الانسان حيوان ناطق . وفي الواقع لو لم توهب له قوة الكلام فان الانسان لن يكون افضل من اي حيوان آخر وذلك لكونه قاصراً في الدفاع » (٢) .

ويقصد بالحياة هنا التي تهبها اللغة للفرد هي الحياة الانسانية بجميع معانيها وصورها ، اي الحياة الاجتماعية والعقلية والعاطفية والروحية .

فبواسطة اللغة استطاع المجتمع البشري ان يتفاهم ويتفاعل ، فارتبط بروابط معينة واقترب افراد المجتمع بعضهم من بعض تقارباً كبيراً فتكونت المجموعات البشرية بشتى ضروبها وصورها من عائلة ومجتمع ، وكونت هذه المجموعات لها النظم والاسس المعاشية التي تسير بموجبها وتنظم حياتها اليومية وان حرمان الحيوان من قوة الكلام هو العامل الرئيسي في حرمانه من مثل هذه المجموعات والنظم .

ووهبت اللغة كذلك للانسان الحياة العقلية ، فاستطاع ان يستخدم عقله الى اقصى الحدود فبلغ ذروته وهكذا تمكن ان يطور مدنيته وحضارته تطوراً بالغاً فتقدم في جميع الميادين من عمران وعلوم واختراعات ومواصلات واكتشافات في الارض والبحر والفضاء حتى اصبح يغزو الاجواء الكونية . وكذلك تقدم الانسان في ثقافته وادبه فأوجد الكنوز الثمينة في الشعر والنثر والقصة والرواية والمسرح والفن وغيرها .

ولا شك ان للغة الفضل الاكبر في استخدام الانسان لعقله في هذه الميادين كلها حتى وصل القمة .

ووهبت اللغة الانسان الحياة العاطفية فاستطاع ان يعبر عن مشاعره من حب وكراهية واعجاب ورضى وغيرها من الاحاسيس الانسانية واستطاعت اللغة ان تنمي

(1) Potter, Op Cit., p. 176

(2) Jashue Whatmough: - Language A Modern Syuthesis, P. 182

هذه المشاعر وتقويها وان تجد الوسائل الرفيعة لاظهارها والتعبير عنها .

وكذلك مكنت اللغة الانسان ان يجد القيم الروحية والادبية فكون الاديان والمذاهب ووجد الوسائل للتعبير عن عبادة الخالق ووجد له القيم والاسس الادبية التي يسير وفقها ويلتزم بها في روابطه مع افراد مجتمعه وغيرهم واوجد مستلزمات الاداب والسلوك والتصرف مع الآخرين .

ومن جهة اخرى فان نظرة علم اللغة Lingvistics الحديثة هي اعتبار اللغة فعالية اجتماعية اكثر مما هي وسيلة للتعبير عما يجول بالنفس بصورة فردية . او كما قال بن جونسن « ان اللغة هي اداة المجتمع » « وهناك تقارب كبير بين حقيقة كون الانسان حيواناً ناطقاً – وبين كونه حيوناً اجتماعياً على مستوى رفيع » وأن تعريف اللغة كونها وسيلة لايصال الافكار تعتبر بصورة عامة في الوقت الحاضر جزء من الحقيقة ، وان هذا التعريف يعتبر الان مضللا اكثر مما هو موضح وان التعريف الاكثر جدوى والاكثر دقة هو اعتبار اللغة وسيلة للسيطرة الاجتماعية .

وبطبيعة الحال انه من الصواب ان نقول : ان اللغة وسيلة لنقل الافكار ، ولكن نجد كثيراً من استعمالات اللغة ربما لاتؤدي في الواقع هذه المهمة . ومثال ذلك عندما يصدر ضابط امراً الى كتيبة من الجنود فانه ليس هناك في اول الامر اية فكرة تفسر حتى ينجز العمل بموجبها ، وان الاستجابة هنا هي عبارة عن استجابة ميكانيكية تشبه ظهور الضوء عند الضغط على زر الكهرباء . وان هذا مثل بسيط لعملية طبيعية اكثر تعقيداً لاستعمال اللغة من اجل تنظيم الفعاليات . ان اي جهد او عمل تعاوني ينجزه عدد من الناس المهرة المشتركين في ذلك التعاون يعتمد كلياً بانسجامه ونجاحه على اللغة بالرغم من ان تلك اللغة لاتحتوي على اي ايصال للافكار

وهناك استعمالات اخرى للغة والتي لا تتعلق بأيصال الافكار . فعلى سبيل المثال ، فان الحديث المألوف لدى الانكليز عن الجو لاينقل في الواقع اية معلومات لاي طرف يشترك فيه لأن مثل هذا الحديث لايأتي بشئ جديد وغير مألوف لأن

كل شخص يشترك في حديث عن حالة الجو ، يشعر فيه لأنه يعيشه فعلياً ، فتحدث فرد آخر عنه لايقدم اية معلومات جديدة او الافكار لايعرفها الطرف الآخر وانما مثل هذا الحديث في كثير من الاحيان يجري لتبادل المعلومات ولا يتوصل المتحدثون فيه الى نقطة معينة ، وعلينا ان نتساءل هل المتحدثون بهذه الصورة حقاً عديمو الهدف ؟ لو تأملنا قليلا لوجدنا ان مثل هذا الاستعمال للغة يتضمن ايضاً قيمة اجتماعية .

ان اكثر الناس يشعرون ان الرجل الصامت هو رجل خطر وحتى اذا لم يكن هناك شئ يقال فيجب على المرء ان يتكلم . وهذا عكس المثل القائل «اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » وذلك ان الكلام يريح النفس ويجعل الافراد بانسجام مع بعضهم البعض فالرجل الصامت يفتقد ذلك وجليسه لايعرف عما يدور في خلده او في فكره من نوايا ، فيبقى بعيداً عنه في الانسجام ولو انه قريب منه في المكان . ان استعمال اللغة بهذه الصورة الاجتماعية اعطي لها اصطلاح Phatic Communion اي الاستعمال للمشاركة الوجدانية الاجتماعية ، وقد استخدم العالم برونسيلو مولونسكي » (وهو من علماء الانثروبولوجيا) الاصطلاح Actuatedاي استخدام اللغة كحافز اودافع وقد عرف اللغة بأنها : «نوع من الكلام الذي تتكون فيه روابط الاتحاد بواسطة تبادل الكلام وحسب . وهي تدخل في تجارب كل فرد سواء ذو مستوى رفيع من الحضارة او متأصل في البداوة وفي كون الحديث القصير عديم الفائدة فهو ذو اهمية كبيرة لأفراد الجنس البشري لكي يكونوا في وئام مع بعضهم البعض » (١) .

ان اللغة في الحقيقة اكثر من ان تكون اداة للفكر او مجموعة اصوات ، انها جزء اصيل من كياننا النفساني ، وهي عملية سايكولوجية معقدة ، وان انجاز هذه العملية

(1) Bronislaw Malinowski, as reported by David Abecrombie Teaching English as a Second Language. Edited by Harold B. Allen, p. 17.

يشتمل على اربعة عناصر :

(١) متحدث او متكلم

(٢) مخاطب او مستمع

(٣) اشياء او اراء يتحدث عنها

(٤) اصوات او كلمات هي عبارة عن « فونيمات» أو رموز لها مغزى معين في الصور الذهنية Mental image وتتم هذه العملية بعناصرها المذكورة عن طريق « المؤثر » او « الحافز » Stimula « ورد الفعل » او « الاستجابة » Respense ولايضاح ذلك نذكر على سبيل المثال رجل يجلس في مطعم فينادي على العامل ان يجلب له نوعاً من الطعام فيبادر العامل الى جلب مايطلبه ذلك الرجل من طعام .

ويمكن ان نحلل هذه العملية بما يلي : ان الرجل يشعر بمؤثر داخلي وهو الجوع فيد فعه ذلك الى طلب الطعام من عامل المطعم هذا الطلب عن طريق الكلمات وهو بدوره مؤثر لغوي يبادر العامل بعد سماعه الكلام الرجل الى الاستجابة أي انه يذهب فيجلب له الطعام . فالحافز الداخلي وهو الشعور بالجوع يتحول الى صورة صوتية وهو : « اجلب لي الطعام » (وهو المؤثر) ، وهذه الصورة الصوتية اذن تنتقل الى الصورة الذهنية فتتحول الى القيام بعمل وهذا هو رد الفعل والاستجابة . فيجب ان تكون علاقة متينة وتوافق بين ثلاثة اشياء حتى تتم مثل هذه العملية وهي الاصوات او الرموز الكلامية Verbel symbols والصورة الذهنية Mental image والاشياء الواقعية Objective reatities .

وقد يكون المؤثر من المحيط الخارجي ، ومثال ذلك شعور شخص بالبرد فيبادر الى الطلب من خادمه ان يشعل المدفأة فيستجيب الآخر قائلا : « نعم » ومن ثم يقوم بالعمل . وقد يكون المؤثر من عالم الاشياء المحيطة بنا مباشرة كما في حالة رؤية الطفل لزهرة جميلة فيقول لابيه : « اقطف الزهرة لي يا أبتي » وفي هذه الحالة تبدأ العملية بالصورة المرئية من الاشياء وهو العامل المؤثر اذ يرغب الطفل في تناول الزهرة ،

وتتحول هذه الصورة الذهنية الى صورة تعبيرية وهي « اقطف الزهرة لي ياأبتي » وهي المؤثر اللغوي الذي يدفع الاب الى الاستجابة لقطف الزهرة .

وهناك امور عدة قد تتبادر الى الذهن في هذه العملية المعقدة وهي كيفية تحول المؤثر الداخلي والخارجي الى صورة صوتية ، وكيفية تحول الصورة الذهنية الى تعبير كلامي أو التساؤل عن مقرّ الكلمات في ذهن القائل ، وتحليل طبيعة العلاقات بيولوجياً بين العنصر المحفز وبين النطق وكيفية اتمام هذه العملية وماذا يحدث اثناءهما ، وكيفية تفسير المستمع للاصوات التي تنتقل الى الصورة الذهنية بواسطة الاذنين وماذا يحدث اثناء ذلك ، وماهية العلاقات بين الصوت والمعنى وكيفية تحول كلام المتحدث الى قرار في ذهن المستمع ، ثم تحول ذلك الى نطق من قبله ثم الاستجابة منه عملياً .

ان مثل هذه الامور في الواقع ليست من اختصاص علم اللغة وانما تدخل ضمن اختصاص علم النفس في احد فروعه وتعتبر اللغة سلوكاً رمزياً Symbolic behaviour وتفسر على اساس الحافز أو المؤثر ورد الفعل او الاستجابة ، كما شرحنا ذلك سابقاً فعبارة «اجلب لي طعاماً » واستجابة العامل نطقاً بقوله : طيب ، ونعم ثم قيامه بالعمل هو رد فعل سايكولوجي اجتماعي وليس هناك معنى لعبارة المتحدث وعبارة المستمع الا اذا ادركنا الظرف الذي يحيط بالوضع الذي نطقنا به .

ان هناك علاقة وثيقة بين علم النفس وعلم اللغة ، اذ ان دراسة علم النفس تقدم لنا معلومات كثيرة ونتائج ثمينة عن اللغة واكتسابها ، ومع هذا فان دراسة اللغة تعتبر الان حقلا قائماً بذاته هذا مع العلم ان علماء النفس انفسهم يختلفون كثيراً في تفسير الظواهر اللغوية قد كان بعضهم الى زمن قصير يعتقد بالتعليل النفسي او الروحي ، أي ان هناك قوة روحية او عقلية او نفسية غير مادية تحرك الانسان ، ولكن جلهم يعللون هذه الظواهر السيكولوجية على انها عمليات فيزيائية ميكانيكية ،

مؤثر ورد فعل وتلاؤم وتصرف رمزي » (١) .

ومن هذا نرى ان دراسة اللغة وما يتعلق بها ليست بالأمر السهل كما يبدو لاول وهلة وانما ذلك يتطلب الماماً كبيراً بجوانب علم النفس وعلم الاجتماع ، كما ان مثل هذه الدراسة تثير استفسارات كثيرة لاتخلو من غموض وابهام ولكن يمكننا ان نستنتج بأن اللغة ظاهرة اجتماعية نفسية قبل ان تكون مركبة من اصوات وكلمات وتراكيب ، ومن جملة مايستعمل المجتمع للغة هي المشاركة الوجدانية الاجتماعية Phatic Communion كما اشرنا سابقاً في هذا الفصل . ونضيف الى ذلك بان المغزى الحقيقي للكلمات التي تستعمل في هذه المشاركة ليس ذا اهمية كبيرة وانما المهم في ذلك هو نبرة الصوت وتعبيرات الوجه ، فقد يذكر شخص عن صديقه في جلسة عائلية قائلا : « لقد حطمت صديقي بضربة قاضية واني اشعر بارتياح تام » ولكن نبرة صوته واسلوب التعبير المناسب ، وعلامات وجهه من ابتسامة وتغيرات في اللون واشارات اليد والرأس ، كلها تجعل المستمعين لايحملون كلامه محمل الجد او يعيرون واقعية ماقال اهتماماً .

وبالرغم من ان المعنى ذو اهمية ضئيلة في استعمال كهذا للغة، فان هناك بعض المواضيع التي يجب ان يلتزم بها الفرد في مثل هذا الاستعمال والمواضيع المنتقاة في الاحاديث الاجتماعية تتباين تبايناً كبيراً عند مختلف الشعوب . ويمكن توضيح ذلك ببعض الامثلة من التعابير التي تقال عند اللقاء او التعارف . فهناك عبارات عدة تستعمل لهذا الغرض ، وقد يكون معضمها مقبولا عند كثير من شعوب العالم ولكن قد لاتتقبلها بعض الشعوب الاخرى فعندما تتعارف على شخص انكليزي مثلا لاول مرة يقابلك بقوله : How do you do ? وقد لايكون لهذا التعبير ترجمة دقيقة في اللغة العربية لانه غير مستعمل عندنا وربما اقرب ترجمة له هو « كيف انت» ؟ ومن الغريب ان الاجابة على عبارة التعارف هذه هي استعمال العبارة نفسها

(١) " نحو عربية ميسرة " المصدر السابق ، ص ٢٨

How do you do ? ولايستعمل الانكليزي معك؟How are you كيف حالك»
العبارة التي تنطوي على تقارب وعاطفية اكثر ، الا اذا اصبحت له معك معرفة والفة
اما في المجتمع العربي فان الشخص الذي يقابلك عند اول لقاء بعبارة كيف حالك؟
أو : كيف صحتك » ؟ متجنباً العبارة الشكلية التي يستعملها الشخص الانكليزي
والسبب في ذلك هو ان الروح الاجتماعية اكثر بروزاً والفة لدى العربي منه لـــدى
الانكليزي ، وهكذا ينعكس ذلك على اسلوب تعبير كل منهما .

ومن العبارات المألوفة لدى الانكليز هي «من اي بلد انت»؟Where are you from
«وما أسمك » ؟What is your name وهذه لاتسبب اي جرح للشعور
في المجتمع الانكليزي ولكنها تستعمل عندنا ببعض التّردد وذلك خشية ان لانشعر
الاجنبي بأنه غريب عنا .

وكذلك من عبارات التعارف الاخرى التي تقال عند اللقاء هي « من الذي
تعرفه » ؟ ? What do you know وما مقدار دخلك من العمل How much
mony do you earn ? فالعبارة الاولى قد تعتبر مقبولة ، اما الثانية فقد يكون فيها
نوع من الاجراج في المجتمع نفسه ، لانها تعتبر تدخلاً في شؤون الفرد الشخصية وفي
حريته . اما عندنا فهي مألوفة وقد لايتردد الكثير من توجيه اسئلة كهذه .

ولا شك ان بعض هذه العبارات تعتبر مقبولة لدى الكثير من المجتمعات البشرية
ولا تسبب جرحاً لشعور الشخص المتحدث اليه الا انها في مجتمعات اخرى تسبب
جرحاً للشعور واحراجاً . هذا بالرغم من ان الجواب المنتظر في كل هذه الحالات هو
مجرد جواب شكلي .

ان محتوى التعبير الشفوي يجب ان يتضمن المعرفة بتقاليد واعراف اللغة المتحدث
بها وبتقاليد واسلوب التعبير عند متكلميها وطريقة تفكيرهم التي تنعكس على اسلوب
التعبير الذي يستعمل لغاية « المشاركة الوجدانية الاجتماعية » لان الجهل بتلك
التقاليد يؤدى الى اخطاء في الاستعمال الاجتماعي للغة فقد يكون استعمال اللغة

من ناحية النحو والتّراكيب والصرف صحيحا ، ولكن الاستعمال الكامل لها يتّم بصحة الاستعمال الاجتماعي والثقافي كذلك ، اي معرفة الطريقة الاجتماعية لاسلوب التعبير الذي يستخدمه متكلمو تلك اللغة اذ ان الالفاظ والتعابير في اللغـة تنقسم الى ثلاثة مستويات :—

(اولا) المعنى الحرفي Lexical mening وهـو المعنى القاموسي للكلمة أو معنى الكلمة وهي قائمة بذاتّها ، اي بتعبير آخر يمكن تعريف هذا المعنى بأنه مغزى الكلمة أو «المورفيم»[(١)] Morpheme باعتبارها جزء من مجموع الكلمات او « المورفيمات » للغة معينة وفي الواقع «يقدم اسم العلم اوضح الامثلة على المعنى الحرفي وبصورة خاصة اذا كان يطلق على اسم وحيد في وجوده في العالم ويمكن ان يعتبر مثلا لمرجع فريد من نوعه » ويمكن ان يكون فريداً في مضمون معين ، وهذا يشمل اسماء الاعلام التي تعود الى الأماكن ، كلندن وباريس أو اسماء الاشخاص كشكسبير.

وعندما نسمع المعنى الحرفي للكلمة أو اسم عند ذكرهما ، فاننا ندرك أو نتخيل معناهما اذ كنا قد كونا صورة ذهنية تامة في الفكر عن كل منهما . وعليه فلاجل فهم المعنى الحرفي يلزم ان يكون هناك ترابط وتوافق تام بين الرمز الكلامي « كتابة أو صوتاً » وبين الصورة الذهنية وبين « الاشياء الواقعية » .

(ثانياً) المعنى التّركيبي أو القواعدي Grammatical meaming وهو معنـى الكلمة ضمن تركيب معين ، أي بعبارة اخرى هو المغزى الذي تكتسبه الكلمة خلال وضع معين ضمن كلمات اخرى في الجملة ومطابقة موقعها من هذه الكلمات بموجب طبيعة القواعد التي تتحكم باستعمال اللغة ، فمثال على ذلك في الجملتين التاليتين « انا احب قراءة القصة الطويلة » و « نحن نحب قراءة القصص الطويلة »

---

(١) المورفيم هو اصغر وحدة صوتية في اللغـة وقد استعملنا لفظها الاجنبي نظرا لعدم الاتفاق على ترجمة لها في االغة العربية

فان كل كلمة اصبح لها مغزى معين لانها قد اتبعت طبيعة تركيب وقواعد اللغة .

ان المعاني القواعدية في الواقع « ليست مجرد امور غامضة لما يسمى بالمحتوى ، انها معاني اساسية وضرورية لكل عبارة كلامية » (١) . كما ان هذه المعاني القواعدية ترسم أو تحدد وفقاً للوسائل القواعدية وهي « نظام ترتيب الكلمات » word-order والتصريف Inflesction والكلمات الوظائفية .(٢) fumction words

ان المعنى الحرفي والمعنى القواعدي معا يكونان المعنى اللغوي Linguistic meaning لاية عبارة من العبارات الكلامية . وهكذا فان ادراك وتفهم اي كلام يتوقف على كلا هذين النوعين من المعنى .

(ثانياً) المعنى الاجتماعي الثقافي– social-cultural meaning او مايسمى بالمعنى التضميني Contextual meaning وهو الجانب الذي تتضمنه محتويات المعنى للكلام او التعبير ويقصد به مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين او في محيط اجتماعي معين . ان هذا المعنى يقتبس من الكلام المستعمل في الحياة اليومية والذي يفسر في مجتمع انساني معين كما ان معنى كهذا هو اكثر عرضة الى التغيير والتبديل عبر التاريخ من اي معنى الى اخر في اللغة . وبالاضافة الى ذلك فان المعنى « الاجتماعي – الثقافي » يختلف قليلا او كثيراً من محيط الى آخر ومن موقف الى آخر . ومن الواضح ان هذا المعنى هو ذو اهمية في تفهم وادراك المعنى الكامل للكلمة او التعبير لأن المعنى الكلي لايتوقف عن المعنى « اللغوي » فقط وانما يتوقف كذلك على المعنى « الاجتماعي – الثقا في » وان ادراك المعنى اللغوي هو عبارة عن لفظ مجرد . Verbalism

وهناك كثير من الامثلة على هذا النوع من المعنى ، فبالنسبة لدلالته في الجملة في موقف معين نوضحه ببعض الامثلة . فعلى سبيل المثال عندما نقول : « النار ،

(1) Charles Fries:- the structure of English, p. 56
(2) Potter, OP. Cit, P 164

النار » Fire Fire يتوقف فهم المقصود بالمعنى على الحالة او الموقف التي تنطق فيه هذه العبارة فاذا كان المتكلم قد رأى ناراً وهي تشب في داره فخرج الى الشارع هاتفاً برعب وفزع وفرائصه ترتعد فان المغزى هنا : « اطلب اطفاء النار في البيت ، وانقاذه منها . اما اذا شعر شخص في ليلة باردة من ليالي الشتاء ببرودة الجو وتوجه نحو خادمه قائلا : النار ، النار » فان المعنى هنا بالنسبة للموقف الحالي هو « ان اشعل النار في المدفأة لأتدفأ » .

ومثال على ذلك هو عبارة : « الماء ، الماء » اذ ان معناها يتوقف كذلك على موقف معين ، فاذا كان المتكلم قد رأى ماء الفيضان قد تدفق ينذر بالخطر ، فمعنى نطقه بهذه العبارة هو الاستنجاد بوقف الماء لدفع خطره . اما اذا كان المتكلم في حالة عطش شديد او في صحراء قاحلة ، مثلا ، ووجه القول الى رجل قادم او قافلة مقبلة نحوه ، فمعنى قوله هنا هو طلب جلب الماء ليروي عطشه .

اما اعتماد المعنى « الاجتماعي – الثقافي » على محيط اجتماعي معين ، فيمكن توضيحه بتقديم بعض الامثلة . فمثلا نجد في اللغة الانكليزية اختلاف مفهوم الطابق الارضي والطابق الاول والثاني وهكذا بالنسبة للانكليز وبالنسبة للامريكان (١) فالانكليز يطلق على الطابق الاول بالطابق الارضي ground floor ، ويطلق على الطابق الذي فوقه بالطابق الاول first floor والطابق الذي فوقه بالطابق الثاني second floor بينما نجد الامريكي يطلق على الطابق الاول بالطابق الارضي ، والطابق الذي فوقه بالطابق الثاني والطابق الذي بعده الثالث third floor الذي هو بالنسبة للانكليز الطابق الثاني . فلو فرضنا اننا استعملنا مع شخص امريكي كان يريد الاهتداء الى دائرة في طابق ما . المفهوم الانكليز فانه بالتأكيد سيضل

(١) فضلت ترجمة Function words بالكلمات الوظائفية والظاهر انه لايوجد في اللغة العربية مثل هذا الاصطلاح ، وهذه الكلمات تشمل حروف الجر وحروف العطف ، والافعال المساعدة ، وبعض الظروف والصفات والضمائر.

طريقه ، ولا سيما في حالة العمارات الحديثة الواسعة . وهناك مثل آخر على المعنى « الاجتماعي – الثقافي » وذلك في استعمالات بعض التعابير والالفاظ المعينة في مجتمع معين دون غيره فمثلا عبارة drugstore تستعمل في المجتمع الامريكي بطريقة خاصة واذا تطلعنا الى استعمالها في القاموس وجدناها « تعني » « الصيدلية » او مكانا لبيع الدواء ولكن لو نظرنا الى استعمالها في المجتمع المذكور نراها تعني شيئاً يختلف بعض الاختلاف عن المعنى القاموسي ، اذ نجد ان المكان الذي اطلق عليه كلمة drugstore بالاضافة الى كونه مكانا لبيع الدواء فانه يحتوي على حاجيات اخرى متعدده اذ يجد المرء فيه ادوات الحلاقة وفرش الاسنان ومعجون تنظيفها والروائح على اختلافها وما اشبه ذلك من المواد الرقيقة التي يحتاجها الانسان في حياته اليومية فقد تكيف استعمال هذه الكلمة بالنسبة الى طبيعة الحياة الامريكية التي يغلب عليها الطابع التجاري والمادي فمكان كهذا لايكتفي ببيع الدواء وحده وانما يستخدم الى اقصى حد للكسب المادي بعرض حاجيات اخرى كثيرة بنفس الوقت .

اما المجتمع الانكليزي فاننا لانجد استعمال هذه الكلمة وانما نجد استعمال كلمة chemist بدلا منها واذا تطلعنا الى المعنى القاموسي لهذه الكلمة فاننا نجد انها تعني « الكيمياوي» ونجد كذلك في المكان الذي كتبت عليه هذه الكلمة نفس الاشياء والحاجيات التي نجدها في الا drugstore الامريكي ، ويرجع ذلك الى الاسباب التجارية والمادية نفسها .

ويشتمل المعنى الاجتماعي – الثقافي » كذلك على بعض العبارات المتمة للتعبير الكلامي والتي تعتبر جزءاً مهماً في اتمام الجملة من الناحية الاجتماعية ، وهذه العبارات تشتمل بصورة خاصة على عبارات الاداب والمجاملة ككلمة « من فضلك» او « رجاء » او « شكراً لك » فمثلا اذا اراد شخص اجنبي وهو من انكلترا ان يشتري شيئاً من الحانوتي ولنقل « علبة سكاير » وطلبها منه قائلا « اعطني علبة

سكاير » give me a box of cigarette ودفــع بالنقود اليه فلا شك ان الحانوتي سيستغرب من تعبيره هذا وانه سينظر اليه شزراً ، لان كلامه ينقصـــه لفظة اجتماعية وهي « رجاء » و « من فضلك » please ان الاجنبي لم يخطئ في التعبير من الناحية اللغوية ولكن ينقص تعبيره المعنى الاجتماعي الذي ربما لم يكن متعوداً على استعماله في المحيط الاجتماعي في بلده . واذا اخذ الاجنبي علبة السكاير وولى وجهه مدبراً دون استعمال كلمة « شكراً » thank you فانه سيقابل بنفس رد الفعل من الحانوتي الانكليزي .

وقد تستعمل بعض التعابير في مجتمع معين بصورة غير مباشرة ، اي قد تستعمل مثل هذه التعابير بصورة تلميح ويقصد بها معنى آخر ، ولكن افراد المجتمع يستطيعون ان يدركوا المعنى الاصلي من وراء ذلك . فنرى ، مثلا ، ان الجابي الانكليزي المسؤول عن جمع اجرة النقل في السيارة نقل الركاب العامة يستعمل كلمة شكراً thank you عندما يطلب من الركاب اجرة النقل ، فهو لايستعمل الكلمة المباشرة « اعطني الاجرة » لان فيها شيئاً من الحرج الذي ربما يجرح الشعور ، فأدب المجاملة في مجتمعه فرض عليه تعبير « شكراً » بدلا من ذلك ، ومعنى ذلك : « اني اشكركم مقدماً » (اي الركاب) لاعطائكم « اجرة النقل » لي .

ان على مدرس اللغة الاجنبية ان يلاحظ ذلك ملاحظة دقيقة فلا يكتفي باعطاء المعنى الحرفي وحده ولا باعطاء المعنى اللغوي للتعبير ، بل عليه ان يفهم طلبته « المعنى الاجتماعي – الثقافي » ايضاً وبصورة واضحة وعليه ان يعطي الامثلة الكافية لذلك . ثم يوضح الفرق بين اسلوب التعبير في لغة الطلبة القومية وبين الاسلوب المستعمل في اللغة الاجنبية ، لكي يستعملوا الاسلوب الاخير عند التكلم بهذه اللغة ويتجنبوا نقل ما الفوه بلغتهم من اساليب التعبير الى اللغة الاخرى .

ثالثاً : ان اللغة تتضمن جانباً فردياً بالاضافة الى الجانب الاجتماعي . فبالرغم من

ان اللغة قد كونها المجتمع ، وهي اداة تعمل وتتفاعل ضمن محيطه ، وقد اتفق على صيغة التعبير التي يجب ان تستعمل للتفاهم المتبادل ، فهناك جانب فردي لاستعمالها فعندما ينقل الفرد فكرة الى آخر باستخدامه كلمات او تعابير معينة فان « العمل الصادر يعتبر فردياً ، ولكن تفسيره يفرض بأن الفرد يكون جزءاً من مجتمع ذي عادات متشابهة وهكذا فان اللغة تعتبر مجموعة معينة لعادات اجتماعية لمجتمع ذي شخصية محددة الجوانب » (١)

ويمكن تعريف الكلمة أو اللفظ بانها عادة انسانية وان تفسيرها وفهمها من قبل بقية افراد المجتمع ناتج عن تشابه في العادات اللغوية ، وان هذا التشابه الذي يتم التفاهم خلاله راجع الى وجود وحدات معينة في الكلمة متفق عليها من قبل افراد المجتمع الذين ينطقون تلك اللغة . ويمكننا ذكر هذه الوحدات بما يلي :—

(١) وحدة الكتابة Orthograhic Unity وهي الشكل الصحيح أو المقبول والذي تدون فيه حروفها في اماكنها الصحيحة بموجب النظام التقليدي لاملاء الكلمة والمتبع في تلك اللغة المستعملة في مجتمع معين .

(٢) القيمة اللفظيةSemantic Valueوالتي يمكن تعريفها بانها اهمية الصوت أو « الفونيم » (٢) الفردي للكلمة كخاصية تميز شكل الكلمة التي تتضمن فيه ، عن بقية الاشكال الاخرى للكلمات . وعلى سبيل المثال نجد في اللغة الانكليزية ان الحرف الاول وهو « الفونيم » (S) في كلمة « sit » له قيمة لفظية لانه يميز هذه الكلمة عن بقية مجموعة من الكلمات مثل « hit » و « bit » و « wit » و « pit » . وكذلك حرف العلة وهو الفونيم (i) في كلمة « sit » له قيمة لفظية لانه يميز هذه الكلمة عن بعض الكلمات الاخرى ككلمة « set » و « sot »

(1) Otto Jespersen: Language: Its Nature, Devleopmnt and Origin, p. 8.

(٢) الفونيم : هو اصغر وحدة صوتية في اللغة ، دون ان يكون له معنى معين .

و « seat » و « sit » . وفي اللغة العربية مثلا ، فان الحرف الاخير وهو الفونيم (ب) في كلمة « شب » له قيمة لفظية لانه يميز هذه الكلمة عن مجموعة من الكلمات مثل « شذ » و « شد » و « شن » وعلى اي حال ، فان كل « فونيم » Phoneme كصوت ، لايكون له معنى بمفرده ، او كصوت منعزل بذاته ، وانما تكون له قيمة لغوية حالما يرتبط بغيره من « الفونيمات » Phonemes في كلمة معينة يسبغ عليها لفظ معين ، والذي يميزها عن غيرها من الكلمات وعندئذ يدعى « بالمورفيم »

(٣) وحدة المعنى : Unity of Meaning

وهي التطابق أو التوافق بين الرمز اللغوي اي الكلمة (سواء أكانت بصورة صوت عند النطق ام بصورة كتابة عند التدوين) وبين عالم التجارب الانسانية التي ترمز اليه

هذا وان لكل معنى في اللغة ثلاثة مستويات وهي المعنى الحرفي والمعنى القواعدي والمعنى الاجتماعي — الثقافي كما شرحنا ذلك قبل قليل .

وطبيعي ان هذا الاتفاق على وحدات الكلمة أو اللفظ لم يتكون بصورة مصطنعة ، وانما يأتي بصورة تلقائية ويقتبس من المجتمع كما تقتبس العادات الاجتماعية الاخرى

والجانب الفردي من اللغة يبدو في مظاهر استعمالها من قبل الفرد . فعندما يتكلم الشخص يفسر المستمع ما يقوله ، ويحدث ذلك بصورة تلقائية (وقد شرحنا سابقاً كيفية حدوث عملية التفاهم هذه) . فاللغة تتكون من رموز تشير الى الشيْ الذي نتحدث عنه ، ولكنها في الوقت ذاته تكون دليلا الى اشياء عدة عن الشخص المتكلم وبصورة خاصة عن شخصيته . فكما ان لباس الفرد بالاضافة الى وظيفته الاساسية ، يكون معبراً عن شخصيته ، فكذلك اللغة ، بل هي اكثر تعبيراً ووضوحاً عن الشخصية من الرداء أو من اي جانب آخر من جوانب السلوك الانساني . وهناك عناصر في الكلا تظهر جوانب الشخصية بجلاء وتكون دلائل لها وهي اللفظ وطريقة اخراج الاصوات والاشارات ، وكثيراًمانبني حكمنا المباشر على شخص غريب عنا لاول

لقائنا به على طريقة كلامه واسلوبه ، وفي غالب الاحيان نستطيع ان نحكم على الاناس الذين نعرفهم عند لقائنا بهم فيما اذا كانوا سيئي المزاج أو حسنيه ، وذلك من طريقة كلامهم . ومن البديهي ان نقول ، ان مثل هذه التفسيرات أو الاحكام عن الشخصية كثيراً ما تكون بارزة الى شعورنا ، فلو فكرنا قليلا في الوقت الذي نقفه نحو شخص معين لرأيناه راجعاً الى طريقة تلفظه وطبيعة صوته في الكلام ، وفي مناسبات اخرى فاننا نشعر بوضوح بالتأثير الذي يتركه صوت الشخص فينا . ومن ذلك كله ، نستطيع القول باننا نصدر احكامنا على الشخص عن طريق كلامه مهما يكن قصد ذلك الشخص عند التحدث . وقد تكون هناك سيطرة تامة من قبل الفرد في كلامه وطريقة اخراج الالفاظ ليسبغ على شخصية سبغة خاصة ، فمثلا عندما يحاول ابن القرية التحدث الى ابن المدينة نراه يستخدم بعض الحروف المستعملة في اللغة الفصحى ، في كلامة ، كحرف (القاف) و (الجيم) ، ليعطي لنفسه الشعور بالاحترام ، كأن يقول (قال) بدلا من (كال) المستعملة في اللغة العراقية العامية ، وكذلك الامر بالنسبة للفرد القروي المصري عندما يحاول استعمال بعض مثل هذه الحروف كحرف (القاف) وحرف (الثاء) ليكسب لنفسه نفس الشعور كأن يقول « ثعلب » مكان « تعلب » .

وبطبيعة الحال ، فان الحكم الذي نصدره عن الشخص بالاستناد الى كلامه قد يكون صحيحاً وقد يكون غير صحيح . وان الحكم الخاطئ في هذا الصدد يصدر بصورة خاصة على الاجانب عندما ينطقون بلغتهم ، فعلى سبيل المثال فان رأى الانكليز عن الافرنسي بكونهم « متهيجين » معتمد على كون حقيقة كون بعض صفات معينة للكلام الاعتيادي للافرنسي هو مشابه الى حد بعيد الى صفات كلام الانكليزي وهو في حالة تهيج ، وهناك مثل آخر في هذا السبيل وهو ان الامريكان غالباً ما يتهمون الانكليز بالغطرسة ، وهذا راجع الى كون النبرة الصوتية لكلام الانكليزي تشبه النبرة الصوتية التي يستخدمها الا مريكي المتغطرس . فمثلا عندما

ينطق الشخص الانكليزي بعبارة « I don't know » (انا لا ادري) فانها تخرج من فمه بطريقة تشابه الطريقة التي ينطق بها الفرد الامريكي المتعجرف .

وعلى اي حال ، فان الكلام هو دليل اكيد ودقيق على طبيعة الشخصية ، وان ملاحظة ذلك تحتاج الى قوة ادراكية فائقة والتي تبدو انها موجودة لدى الكثير من الناس .

وفي الواقع ، فان الصفات المعينةفي الكلام ليست دليلا علىالشخصية وحسب ، وانما قد نحس احياناً احساساً قوياً بكونها جزءاً اساسياً من الشخصية .وهذه الحقيقة يجب ان يضعها مدرس اللغة الاجنبية نصب عينيه عند تدريسه . فمثلا فان قلة استعداد ، او عدم مقدرة الطالب الذكي لان يتعلم اللفظ المطلوب ربما لايعود سببه الى ضعف قرة السمع لديه ، بل يرجع ذلك الى ان الطالب يقاوم التدخل او الهجوم على شخصيته والذي يحس بصورة لاشعورية بانها مرتبطة بأية محاولة لتغيير عاداته اللفظية ، وعليه فالمدرس الكيس هو الذي يحاول ان يعالج مثل هذا الموقف بعناية واهتمام . ومن المحتمل ان يكون هناك مايشبه ذلك وراء العرف السائد في بعض الاقطار التي تعتبر وجود الكلمات الاجنبية في لغتها تهديداً لكيانها القومي ، لانها تعتبر لغتها جزءاً من كيانها وان اي ضعف فيها بادخال كلمات غريبة عليها مما يضعف هذا الكيان ، وربما ادى هذا الاعتقاد الى تشريع قانون يمنع بموجبه ادخال أو استعمال كلمات اجنبية في اللغة القومية .

رابعاً :

ان اللغة بالاضافة الى كونها تربط افراد الجنس البشري بعضهم مع البعض الآخر فانها تربطهم مع العالم الخارجي ، اذ ان اللغة ، في الحقيقة ، تكون واسطة الارتباط بين الانسان ومحيطه .

ومن البديهي هو ان الانسان يعيش في محيطين هما المحيط الاجتماعي (وهو الجماعة البشرية التي حوله) والمحيط الطبيعي ، وهو كل ما حوله من طبيعة وظروف

مادية . وموضوع بحثنا هنا هو النوع الاخير من المحيط وعلاقته به ومدى الرابطة التي تربطه به ، وتأثيره عليه من الناحية اللغوية .

ان هناك فرقاً واضحاً بين النظرة العامة بالنسبة لعلاقة الانسان اللغوية مع المحيط وبين نظرة علم اللغة الحديث Modern linguistics فالنظرة الاولى نعتقد بان اللغة تعكس العالم وتفكيرنا عنه ، وبعبارة اخرى ان انماط اللغة تطابق انماط العالم الواقعي . بينما يميل علم اللغة الحديث الى الاعتقاد : بأن اللغة ليست انعكاساً سلبيا ولكنها بالاحرى طريقة عملية فعالة الى العالم الواقعي ، اذ هي عبارة عن تصنيف له لغرض التأثير فيه . فالتجربة تتجزأ وتتوزع طبقاً للخطوط التي تصنعها الطبيعة .

ان الطريقة التي تنتظم بها مفردات أو كلمات اللغة لكي تواجه العالم الخارجي يمكن ان يطلق عليها اسم « التركيب اللفظي » Semantic structure وكون الطبيعة هي التي تفرض اللغة ومفرداتها يجعلنا ان لانتوقع بان جميع اللغات يجب ان تتشابه في تركيبها اللفظي ، لان نوعية الطبيعة تختلف من قطر لآخر ، وعليه فان لغة كل قطر يجب ان تختلف في التركيب اللفظي وفي المفردات حسبما تفرضه متطلبات الطبيعة الخاصة . وعندما نقارن اللغات بعضها ببعض وحتى تلك التي تجمعها رابطة وثيقة من التقارب العائلي فاننا نجد اختلافات واضحة بينها . واننا نجد فروقاً شاسعة بين تلك اللغات التي تعود الى عوائل لغوية مختلفة أو بعيدة الاصل ، لانه في هذه الحالة يكون الاختلاف واسعاً في مجال المحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية وكذلك تكون مصادر هذه اللغات بعيدة الاختلاف . ونستطيع ان نجد امثلة متعددة على الاختلاف في التركيب اللفظي » في اللغات المختلفة ، وذلك بسبب اختلاف البيئة. فمثلا ، نجد في اللغة الانكليزية كلمة واحدة عامة لجميع « الاعشاب البرية » وهي كلمة «ويد» weed ، بينما نجد في لغة قبائل الهنود الحمر في امريكا كلمة خاصة لكل نوع من انواع النباتات البرية وليست هناك لفظة عامة لها ، وذلك لان هؤلاء الهنود تهمهم الخواص الطبيعية لهذه النباتات بسبب استخدامها في معالجة الامراض . فايجاد

كلمة عامة لها عندهم لاتفي بالغرض المطلوب . فكما ان لكل نوع من الدواء عند الصيدلي اسماً خاصاً لاحتوائه عـــلى خواص طبية يصلح معها لمعالجة مرض معين، فكذلك الامر بالنسبة للهنود الحمر فيما يخص تسمية الاعشاب البرية .

وهناك مثل آخر على ذلك : اننا نجد في اللغة الانكليزية بضع كلمات للمـــاء المتجمد وهي كلمة snow (الوفر) وكلمة Ice (الثلج الاصطناعي) و Frost (الثلج الواقع على الارض) ، وتكاد الكلمة الاولى ان تكون عامة في استعما لها . وكذلك الامر بالنسبة للغة العربية فهناك كلمة « ثلج » ، وجليد ، وصقيع . بينما نجد في لغة الاسكيمو ما يزيد على المائة كلمة للماء المتجمد في مختلف حالاتـــه واستعمالاته والتي يختلف كل منها عن الآخر بالنسبة للفرد في الاسكيمو فيما يتعلق بتأثيره ووظيفته ، وذلك لانه يعيش في محيط يكتنفه الثلج في كل مكان ويؤثر في حياته تأثيراً عميقاً .

ونجد من جهة اخرى ان اللغة العربية تحتوي على اسماء عدة للصحراء ، واكثر مما تحتويه اللغات الاخرى ، وكذلك بالنسبة للصفات التي تتصل بالصحراء ، وذلك لان الصحراء كانت تكون البيئة الاساسية لحياة العرب ، فمن الطبيعي ان يطلقوا عليها اسماء عدة ، وكذلك الامر بالنسبة لاسماء الجمل المتعددة التي تحتويه اللغة العربية ، لان الجمل كان الوسيلة الاساسية التي يستخدمها العرب في حياتهم اليومية ، في تنقلهم وترحالهم .

« وكثيراً مايعتقد بان امتلاك اللغة لكلمات في مستوى خاص ، يمكنها ان تكون اكثر دقة ، ولكن في الواقع ان هذا ليس من الضرورة بمكان بان يجعل اللغة بهذا الشكل (١) . وعلى سبيل المثال ففي اللغة الانكليزية توجد كلمة « tail » « ذنب » ولم تصبح هذه اللغة اكثر دقة في وجود كلمة « scout » لان هذه الكلمة قد تكون اكثر اختصاراً من تعبير« tail of a rabbit «ذنب الارنب» ولكنها ليست اكثر دقة، هذا

(1) Abercrombie, Op. cit, p. 2

بالاضافة الى صعوبة هــذه الكلمة نسبياً ولهـذا فهي قليلة الاستعمال في « اللغة الانكليزيةولاسيما لغة الكلام الدارجة.ان توزيع كلمات اللغة على مستويات مختلفة . ، ربما قد حصل الى حد ما عن طريق الصدفة ، ومن الصعوبة بمكان ان نتصور وجود اي سبب لاستعمال الكلمات التي تشير الى اصبع اليد finger والابهام thumb واصبع القدم toe في اللغة الانكليزية ووجود كلمة واحدة في اللغة الاغريقية تقابلها وعلى اي حال فان هناك تأثيراً كبيراً ناتجاً بسبب الرغبة العملية للناس في عناصر محيطهم ، وكلما ازدادت الضرورة لطرق حياتهم لايجاد التمييز بين الكلمات في حدود الظواهر ، كلما قل الاحتمال بامتلاكهم اصطلاحاً عاماً يشمل الكل، اي يكون الاتجاه في هذه الحالة الى وجود مصطلحات خاصة للاشــياء بدلا من المصطلحات العامة ، ونجد في الواقع : « ان اللغات المتطورة كاللغة الانكليزية التي تستعمل في جميع انحاء العالم من قبل اناس ذوى ميول ثقافية مختلفة ، يمكن ان تهيئ هذه اللغة كل من المصطلحات العامة والمصطلحات الخاصة في اكثرية المواضيع (١) » فاذا اراد رجل المدينة الانكليزي أن يكون اكثر تحديدا في تعبيره فيما يخص كلمة « الاعشاب البرية » weed مثلا فان بامكانه ان يجد المعنى المطلوب عن طريق القاموس،وكذلك الامر بالنسبة للاغريقي فاذا اراد ان يخصص «الابهام» thumb في الاستعمال فبامكانه ان يستعمل الكلمة الادبية الخاصة بذلك والموجودة في لغته . وعلى اي حال فان التركيب اللفظي « Semantic structure للغات العالم المتطورة ، هو الى حد بعيد ، سريع التغيير والتطور في مع مواقع معينة فاللغة الانكليزية مثلا ، التي ينقصها المرادف للكلمة الالمانية Geschwrster التــي تطلق على « الاخوان والاخوات » Brethers and sisters (اي اســم الجمع لهما) استطاعت ان تملأ هذا الفراغ بادخال كلمة Sibling ومن جهة

(1) I bid. p. 22

اخرى فان اللغة الانكليزية تستعمل كلمة consin دون ان تفرق بين الجنس اذ انها تستخدم في هذه اللغة لتعني « ابن العم » او بنت العم أو ابن الخال وبنت الخال . بينما نجد اللغة الافرنسية لاتفعل ذلك بل انها تستعمل كلمتين تفرق فيهما بين الجنس في هذا الصدد ، فكلمة cousin في هذه اللغة تطلق على « ابن العم » أو « ابن الخال » وكلمة cousine تطلق على« بنت العم » أو « بنت الخال » اما اللغة العربية فقد اوجدت للفظة نفسها كلمات أوسع من اللغة الانكليزية واللغة الافرنسية فهي لم تفرق بين الجنس وحسب ، بل فرقت بين علاقة الجنس من ناحية الاب والام فأوجدت لها بضعة الفاظ هي : « ابن العم » و « ابن الخال » و « بنت العم » و« بنت الخال » . وبالاضافة الى اختلاف اللغات في ترتيب وتنظيم الكلمات الى مستويات فانها تختلف كذلك في تفريق وتحديد عناصر البيئة ، وان اسماء الالوان تعطينا ابرز الامثلة في هذا الصدد . فمن الواضح ان كل لغة تقسم مجال الالوان Spectrum بصورة تختلف عن الاخرى ، بالرغم من التقارب السطحي الذي يبدو موجوداً بينها في هذا الشأن . وهناك لهجات dialects في اللغة الانكليزية التي تعني كلمة « قدم » Foot فيها كل الساق الى الركبة .

ان اللغة ، في الواقع ، تمكن الانسان من العيش في مجتمع معين (وقد شرحنا ذلك سابقاً بالتفصيل) (١) . في الوقت نفسه ان نوع المجتمع الذي يعيش فيه الانسان يؤثر في لغتهتأثيراً بالغاً . ونجد « التركيب اللفظي » Social strueture و « التركيب الاجتماعي Semantic structure يتصلان مع بعضهما اتصالا وثيقاً ، وان المعنى التام للكلام يحتوي على كليهما ، كما تناولنا ذلك عند بحثنا لعلاقة المعنى اللغوي « بالمعنى الاجتماعي—الثقافي » .

ومما يجدر بالملاحظة هو ان « التركيب اللفظي » لايعكس وحسب ، البيئة الفسلجية

---

(١) أنظر صفحة ١١٧-١٢١

التي تنتج من « التركيب الاجتماعي » وانما كما يقول كريس دي لكونا : « عندما يتعلم كل شاب الكلمات اليومية فانه ينسجم مع مجموعة من النظارات المختلفة الالوان والتي من خلالها يتطلع للعالم الذي حوله والذي يتلون حتماً بموجب الوانها (١) ويذكر هينز بيشر في كتابه « المانية النازية » ؛ « كيف ان الاصطلاحات الجديدة والكثيرة التي ادخلها النازيون ، قد اعدت الشعب بذخيرة من الوسائل المقبولة في الكلام وحولت بصورة تلقائية انماط الفكر النازي الخلقي والاجتماعي والسياسي الى تراث المجتمع الشعبي » (٢) .

رابعاً :

ان صور الكلام واشكاله تحدد المجموعات الاجتماعية والطبقات الاجتماعية ضمن لغة المجتمع .

فعندما يتكتل الافراد الى مجموعة معينة فانهم يميلون الى السلوك بصورة متشابهة ، وان هذا التشابه بالسلوك بمدى اختلافه عن سلوك جماعات اخرى ، يصبح احد العوامل التي تميز تلك الجماعات وعليه فانها تحافظ على نفسها بواسطتة . ان السلوك اللغوي يتأثر تأثيراً عميقاً بهذه الطريقة ، وكما يقول ادورد سابير : « ان المرء ليأخذه العجب فيما اذا كان هناك اي نمط من العادات الاجتماعية اكثر تماسكاً واكثر تفريقاً من العادات اللغوية (٣) . » وربما يكون التلفظ prounciation هو اوضح اوجه اللغة الذي يكون فيه السلوك الكلامي متأثراً بالمجموعات الاجتماعية او الطبقات الاجتماعية ، ولكن ذلك لايعني ان وجوه اللغة الاخرى لايشملها هذا التأثير ، ففي تدريس اللغة الفرنسية ، مثلا كثيراً ما كان يعلم الطلبة خطأً بان الكلمة الفرنسية « vous » تختلف عن « tu » بكونها تستعمل فقط عندما يكون بيننا وبين

(1) Grace De Laguna, as reported by : Abercrombic, OP, Cit, P 22

(2) Heinz Paechler, Nazi-Deutsch, as mentiored by : Abercrombie, OP. Cit, P. 22

(3) Eelwatd Sapir, as reported by Abercrombie, OP Cit, P19

الشخص المخاطب الفة تامة ، او يكون الشخص المخاطب اقل شأناً أو منزلة كالطفل او الخادم . ان عبارة «Tu » لاشك انها تستخدم في مثل هذه الحالات ، ولكن هذا ليس كل شئ في استعمالها اذ ان ذلك لايفسر استعمالات اخرى لهذه الكلمة . فعلى سبيل المثال ، فان الفرنسي عندما يقدم أو يتعارف على فرنسي آخر ، فان كلا منهما يبادر الى استعمال « tu » بهذه الصورة Enchant de faire tu commaissance اي«اني مسرور للقائك» . ففي الواقع ان كلمة « tu »تستعمل بصورة طبيعية ليس كعلاقة معرفة شخصية او وجود الفة بين المتكلم والمخاطب ، ولكنها تستعمل بين اعضاء مجموعة اجتماعية معينة أو بين اعضاء ينتمون الى احزاب سياسية معينة أو جماعة تربطها روابط متشابهة ويمكن استعمالها كذلك بين الغرباء.

ان دور اللغة في الفروق الاجتماعية يساعد على شرح الظاهرة اللغوية البارزة — وهـــي وجود اللغة العامية slang language ، والتي هـــي امر يتعلق كلياً تقريباً بالكلمات والعبارات ، واللغة العامية تعود الى اما سبب اقليمي او الى سبب اجتماعي . فالنوع الاول هو عبارة عن شكل من الكلام الخاص الذي يستعمل في بيئة اجتماعية تعيش في منطقة جغرافية معينة ، اما النوع الثاني فهو ذلك النمط من الكلام الخاص الذي يستعمل بين اعضاء مجموعة اجتماعية ذات مستوى اجتماعي خاص . واللغة العامية — slang تختلف عن لغة الـ jragon ، وهي التي تتعلق بالاصطلاحات الفنية للمهن والرياضة ، وكذلك تختلف عن الـ cant التي هي عبارة عن اللغة السرية أو اللغزية التي يستعملها المخالفون للقانون لمحاولة الهرب من عقابه ، امثال اللصوص والمقامرين والمهربين .

ان اشكال الكلام هذه كلها اوجدتها الضرورة الاجتماعية لخدمة كل فريق يستخدمها ، والظاهر ان «اللغة العامية » « slang » هي اكثرها دهشة لأنها تحاول تقليد أو محاكاة اللغة التقليدية ، ولغتها تشتمل تقريباً على جميع المواضيع ، اي انه يمكن التحدث بواسطتها بأي موضوع من المواضيع . وبالرغم من ان هناك بضع

دوافع لوجود « اللغة العامية » ، ولكن التفسير الاساسي لذلك يرتكز حول حقيقة كونها ملك لمجموعة اجتماعية معينة ، وان استعمالها يشعر الفرد بالانتماء الى تلك المجموعة كطبقة مميزة ومختلفة عن بقية المجموعات الاجتماعية . ان اللغة العامية ، في الواقع ، شيءٌ يدهش الاجنبي ، لانه يبدو بأن تعلمهايسهل قبول المرء بأن يكون بعلاقة متينة وارتباط قوي مع الجماعة التي تتكلمها كلغة خاصة بها . ولكن استعمالها في الوقت المناسب والكيفية المناسبة يتطلب خبرة بنوعية وطبيعة المجتمع الذي يستعمل هذه اللغة ، ففي المجتمعات المحافظة من ناحية الاختلاط الاجتماعي ، كالمجتمع الانكليزي ، مثلا ، قد يقابل استعمالها من قبل الآخرين بعدم رضا وربما باستجابة عدائية . وسبب رد الفعل هذا راجع الى ان الاجنبي قد فرض الفته في مجتمع كهذا قبل اوانها . اي ان الوقت لم يحن لان يكون الفرد الغريب متآلفاً أو ذا علاقة متينة مع تلك الجماعة بحيث يكون له الحق بان يستعمل اللغة الخاصة بها ، وهي ملك لها وحدها ، والتي تميزها عن بقية المجموعات الانسانية ، وتأثير الاجنبي في هذا الصدد كالتأثير الذي يحدثه ذلك الشخص الذي يفرض وصايته أو حمايته في غير مكانها ، او ربما ان رد فعل كهذا يعود الى سبب آخر وهو ان اسلوب نطق الاجنبي للغة العامية slang لتلك الجماعة يبدو مشابها لنطق اللغة العامية لمجموعة اجتماعية اخرى غير ودية . والظاهر انه من الصعوبة بمكان للاجنبي أن يجاري اللغة العامية بنبرتها الحقيقية التي تنطق بها المجموعة العائدة لها . وفي الواقع ، كثيراً ما تكون اللغة العامية علامة مميزة للمجموعة الاجتماعية التي تنطقها كالعلامات التي تميز بعض المؤسسات الاجتماعية كالاشارات الجامعية ، او اللباس الرسمي . وبالرغم من ان كثيراً من الكلمات العامية قد تكون مدتها قصيرة في الاستعمال ، وقسم منها قد يدخل اللغة الدارجة التي تستعمل في الحياة اليومية ، ففي الواقع اننا نجد بعض كلمات هذه اللغة تصبح لها مكانة في الاستعمال ويستمر بقاؤها .

صالح مهدي شريدة

THE REFERENCES
THE ENGLISH REFERENCES

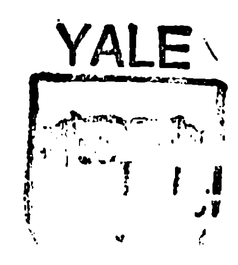
1. Allen, Harold (Editor): Teaching English As a Second Language. The social Basis of Language,by: Abercrombie, David (McGraw-Hill Book Company, New York 1965) .
2. Fries, Charles: The Structure of English. (Longmans,Green and Company, London, 1957).
3. Head, Henry: Aphasia Kindred Disorders. (Cambridge University press, cambridge, 1926).
4. Jespersen, Otto: Language Its Nature, Devlop-ment and Origin(George Allen and Union, Ltd.,London, 1922).
5. Potter, Semeon: Language in the Modern world (Penguin Books, London, 1957).
6. West, Michael: Language in Education (Longmans, Green and Company Ltd., London, 1952).
7. Whatmough, Joshua: Language: A Modern synthesis (Seaker and Warburg, London, 1952).

المصادر العربيـة

الدكتور انيس فريحة : « نحو عربية ميسرة » دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٥

فهرس المجلد الخامس والعشرين

من مجلة المجمع العلمي العراقي



(الثمن ٥٠٠ فلس)

(صحح تجارب الطبع الخطاط وليد الاعظمي الموظف في المجمع العلمي العراقي)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٧٤

مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الخامس والعشرون



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م